

محاكمة الخطيب، اليوم 25، 20 آب 2020: إطلاق نار على المتظاهرين وتعذيب جسدي ونفسي للسجناء

بدا حسين غريير - مدعي مشترك وناجي من التعذيب يدعمه المركز الأوروبي لحقوق الدستورية وحقوق الإنسان **ECCHR** - مركزاً ووثقاً بنفسه عند وصوله إلى المحكمة. في اليوم الخامس والعشرين من محاكمة الخطيب كان هو الشاهد الوحيد المستدعي. وأثناء عبوره للأمتار الأخيرة قبل دخوله القاعة لم يرافقه المحاميان الشريكان في المركز باتريك كروكر وسيباستيان شارمر فحسب بل كان برفقته أيضاً فريق تلفزيوني ألماني. كما جلست شقيقتنا غريير وزوج أخته الذين أتوا خصيصاً من هولندا في المقاعد المخصصة للزوار في قاعة المحكمة وهي كلها مشغولة.

وفي البداية فصل مهندس البرمجيات مسيرته المهنية ونشاطه السياسي في سوريا حيث أسس منذ أيام الدراسة الجامعية في دمشق موقع مدونة من دون ذكر اسمه من أجل الكتابة الناقدة لنظام الأسد. ومنذ عام 2010 عمل أيضاً كمدرّب لدى منظمة **BBC Media Action** وهي منظمة مخصصة لتطوير الإعلام. أما في عام 2011 - مع بداية الاحتجاجات السلمية ضد نظام الأسد - فقد شارك غريير في عدة مظاهرات. وشاهد عن كثب كيف أطلقت الشرطة والجيش النار على الناس بالذخيرة الحية وشاهد أيضاً ناس لقوا حتفهم جراء ذلك. وقام هو بتصوير القمع العنيف للمتظاهرين تصويراً فوتوغرافياً وبالفيديو.

وفي تاريخ 24 تشرين الأول (أكتوبر) 2011، كان غريير جالساً في أحد المطاعم مع صحفية سورية شابة عندما تم إلقاء القبض عليه. تم نقله أولاً إلى الفرع 40 وبعد بضع ساعات إلى الفرع 251 التابع لجهاز المخابرات العامة. وهنا استفسر القاضي المساعد منه عن مصدر معرفتها اليقينية هذه. فرد غريير إنه أثناء نقله إلى الفرع 40 الذي لم يدم طويلاً لم تكن عيناه معصوبتين كما أنه كان قادراً على متابعة السير إلى الفرع 251 رغم تعصيب عينيه. وأكدوا له السجناء الآخرون ذلك أيضاً.

احتُجز غريير في الفرع 251 لمدة تتراوح بين عشرة وخمسة عشر يوماً. ولم يستطع أن يحدد الفترة بدقة إذ أن الزنزانة كانت تتواجد في طابق تحت الأرض لا يدخله ضوء النهار. وفي المقابل كان وصفه للزنزانة نفسها أدق بكثير: متران في ثلاثة أمتار ونافذة صغيرة مزودة بقضبان وباب من المعدن بفتحة للتهوية وأخرى لتقديم الطعام. واضطر السجناء المحتجزون هنا ووصل عددهم إلى 25 شخصاً إلى الشرب من خرطوم في مرحاض الزنزانة بينما تناوبوا على النوم في أوقات مختلفة. قارن القضاة هذه الأوصاف بالرسومات التي رسمها غريير أثناء استجوابه من قبل المكتب الاتحادي للتحقيقات الجنائية والتي عُرضت على شاشة كبيرة في قاعة المحكمة.

أفاد غريير أن التحقيقات - وما يرتبط بها من تعذيب - جرت في الغالب في الردهة. ومن خلال فتحة الباب استطاع متابعة سوء معاملة سجناء آخرين. كما رأى امرأة وسمع أخريات. وقد تم التحقيق معه حوالي خمس مرات وكان يُساء معاملته في هذه الأثناء طيلة الوقت تقريباً. "كنت معصوب العينين واضطرت إلى الاستلقاء على بطني وكانت قدمي مرفوعتين نحو الأعلى. وكان المحقق جالساً أمامي ووقف حارس خلفي. وإذا لم تعجب المحقق إجابتي فإن الحارس أصبح يضربني بأمر من المحقق. مرة بحزام عسكري وأخرى بسلك سميكة. كانت قدمي حمراء وزرقاء ومتورمة لدرجة أن العودة إلى الزنزانة سيراً على الأقدام تحولت إلى محنة أخرى"، أوضح غريير. تبين على الشاهد أن هذه الأوصاف المفصلة أُرهِقته ولذا علقت القاضية الرئيسة جلسة الاستجواب مؤقتاً.

وبعد استراحة قصيرة واصل غريير الإدلاء بشهادته دون أي تردد. قال إنه ذات مرة نُقل إلى غرفة مليئة بأدوات التعذيب: "لم أكن معصوب العينين بشكل استثنائي ورأيت جهازاً للصعق بالصدمات الكهربائية وعشرات الأسلاك والأحزمة والهراوات. على ما يبدو كان من شأن ذلك أن يخيفني. تماماً مثل الحارس الذي كان يتلاعب بزردية كان من المعروف أنها أستخدمت من أجل نزع أظافر السجناء."

وفي حالة أخرى تم إدخاله إلى مكتب مسؤول رفيع المستوى على ما يبدو. وخطب المحقق الآخر الرجل بـ "سيدي". وهذا الأخير بدوره هدد مرؤوسه: "إما أن تحصل على الأسماء منه أو ستجرب ما يجربه هو."

أما بالنسبة ما إذا كان هذا المسؤول الرفيع المستوى أنور ر. المتهم الرئيسي في محاكمة الخطيب فلم يتضح في يوم المحاكمة هذه. بينما أكد غريير أنه يتذكر صوته تماماً سارع محامي الدفاع عن أنور ر. إلى التوضيح مرة أخرى: لن يوافق على أخذ عينة صوتية وطالب بعدم تكرار السؤال عن ذلك في المستقبل.

وفي نهاية يوم المحاكمة أعلن المحاميان الشريكان في المركز اللذان يمثلان كل من غريير والمدعي المشترك وسيم مقداد عن بياناً بخصوص اليوم السابق من المحاكمة جاء فيه أن أنور ر. ذكر في إفادته في 18 مارس 2020 أنه شخصياً حقق مع مقداد. وفي دوره أكد مقداد في شهادته على أن نفس الرجل كان يقوم بالتحقيق معه دوماً وأنه نفسه أمر بتعذيبه. لذا لا يمكن أن يكون المسؤول عن تعذيب مقداد إلا أنور ر.

ستستمر المحاكمة في 26 أغسطس.